224161 - يبتلى المرء على قدر دينه ، والبلاء أنواع ، بعضه أشد من بعض .

السؤال

أنا بنت مريضة ، منذ ولدت لا أستطيع الحركة ، ومرضى ليس له علاج عند الأطباء حتى الآن ، وللأسف يزداد سوءا يوما بعد يوم ، ولا تتوقف الحالة إلى حد معين ، وسمعت حديث يبتلى المرء على قدر دينه ، فإن كان في دينة صلابة شدد عليه في البلاء ، وأشد الناس بلاء الأنبياء فالأمثل فالأمثل ، فعندما تفكرت في هذا الحديث دار في بالي أمثلة لأناس أقل بلاء مني ، ولكن أنا على ثقة بأنهم أفضل عند الله مني مائة ألف مرة ، مثلا الإمام أحمد بن حنبل ، فهو لم يبتل إلا بمحنة خلق القرآن فقط التي سجن فيها وعذب بالجلد والسجن ، حوالي أربع سنوات ، ولكن أجد أن بلائي أكبر من بلائه (والله أعلم طبعاً) ، فأنا لا أتحرك خالص ، وبعد ، وليكن عام ، ربما لا أستطيع الجلوس حتى ، وهذا منذ ولدت وأنا أعاني مع المرض وآلامه ، ولا أخرج من البيت مطلقا بالسبع سنين ، فأنا كالسجينة ، ولست سجينة أربع جدران ، بل سجينة كرسي متحرك ، ولا أعتمد على نفسي في شيء إلا القليل ، ولم أتزوج كالإمام ، ولا أخرج كالإمام ، ولم أنجب كالإمام ، فأرجو توضيح الأمر لي ، فالأمر التبس علي في الحديث وحالي ، وأنا أستفسر عن هذا الأمر حتى أزيل الشك من قلبي ، ويزداد يقيني ، فأعينوني بارك الله فيكم .

الإجابة المفصلة

نسأل الله أن يعافيك ، ويصلح لك أمر دينك ، وأن يرزقك الصبر والرضا بما شاء وقدر بحكمته وعلمه سبحانه .

روى الترمذي (2398) وصححه ، وابن ماجة (4023) عَنْ مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ ، قَالَ : (الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ، فَيَبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ ضَلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ حَاطِيَةٌ) وصححه الألباني في "صحيح الترمذي" .

والبلاء في الحديث عام ، يشمل كل أنواع البلاء ، فيشمل الابتلاء بالسراء والضراء ، ويشمل الابتلاء بالحروب والفتن والاضطرابات ، ويشمل الابتلاء بتولي المسؤوليات ، كما يشمل الابتلاء بكثرة الفرق والبدع والضلالات ، وكثرة الشهوات والفجور ، وانتشار الفساد في الأرض ، ونحو ذلك .

وليس البلاء مقصورا على المرض أو الفقر أو نحو ذلك ، قال تعالى : (وَنَبَلُوكُمْ

بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ (الأنبياء/ 35 ، قال الطبري رحمه الله :
" يقول تعالى ذكره : ونختبركم أيها الناس بالشر وهو الشدة نبتليكم بها ، وبالخير وهو
الرخاء والسعة العافية ففتنكم به " انتهى من "تفسير الطبري" (18/ 439) .

وقال ابن كثير رحمه الله :

" أَي: نَحْتَبِرُكُمْ بِالْمَصَائِبِ تَارَةً ، وَبِالنَّعْمِ أُخْرَى ،
لِنَنْظُرَ مَنْ يَشْكُرُ وَمَنْ يَكْفُرُ ، وَمَنْ يَصْبِرُ وَمَنْ يَفْتِنُ ،
كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : (وَتَبْلُوكُمْ) ،
يَقُولُ : نَبْتَلِيكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ، بِالشَّدَّةِ
وَالرَّخَاءِ ، وَالصَّحَّةِ وَالسَّقَمِ ، وَالعِنَى وَالْفَقْرِ ، وَالحَلَالِ
وَالْحَرَامِ ، وَالعَطَاةِ وَالعَمَصِيَّةِ وَالعُدَى وَالعَصَالِ " .
انتهى من " تفسير ابن كثير" (5/ 342) .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرحه لهذا الحديث :

" (أشد الناس بلاءً الأنبياء) لأن الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالنبوة ، وابتلاهم
بالدعوة إلى الله ، وابتلاهم بقوم ينكرون ويصفونهم بصفات القبح والذم ، ولكن هذا
الابتلاء هو في الواقع ؛ لأن كل ما أصابهم من جرائها فهو رفعة في درجاتهم .
(ثم الأمثل فالأمثل) يعني: الأصلح فالأصلح ، كلما كان الإنسان أصلح ، وكلما كان
أقوى دعوة إلى الله ، وكلما كان أشد تمسكاً في دين الله ، كان له أعداء أكثر، قال
الله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ)

الفرقان/ 31 ، وعداوة المجرمين للأنبياء ليس لأشخاصهم بل لما جاءوا به من الحق ،
وعلى هذا فيكون كل من تسمك بما جاءوا به من الحق ناله من العداوة من المجرمين مثلما
ينال الأنبياء أو أقل بحسب الحال ، والله عز وجل حكيم يبتلي بالنعمة ويبتلي بالنقم ،
فابتلاؤه بالنعمة لئبلونا أنشكر أم نكفر، وبالنقم لئبلونا أنكفر أم نصبر، هذا هو
معنى الحديث " انتهى من " لقاء الباب المفتوح " (94/ 13) بترقيم الشاملة .

فالبلاء الذي وقع بك أيتها

الأخت المسلمة - عافاك الله منه - إنما هو نوع بلاء واحد ، وهو بلاء المرض ، وهو من
الابتلاءات الدنيوية ، أما البلاء الذي نزل بالإمام أحمد رحمه الله فليس بلاء واحدا
، وليس بلاء في دنياه فحسب ، وإنما هو بلاء متعدد ، في الدين والدنيا ، فابتلي
بالحبس والضرب والإهانة وتسليط أهل البدعة عليه واتهامه بالكفر وتهديده بالقتل ،
كما ابتلي في دينه بمحاولة إرغامه على أن يتكلم بكلام أهل الضلال ، ولو أنه تكلم به

لضل به خلق كثير، ولانتصر أهل البدعة على أهل السنة، وكان عارا لا تمحوه الأيام

كما ابتلي رحمه الله بالدنيا، لما أته وهي راغمة، بعد أن رفع أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله المحنة عن الناس، وانتصر لأهل السنة، ورفع قدر الإمام أحمد، وقربه واجتباؤه وحباه، وكان يرسل إليه بالأموال وأنواع الطعام، فكان الإمام أحمد رحمه الله لا يقرب شيئا من ذلك، ويفرقه على الفقراء من أهل الحديث وغيرهم، وشدد على أولاده في قبول شيء منه، وعنف بعضهم لما قبل بعض ذلك، وهجره، وسد بابه دونه

قَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: "مَاتَ سُفْيَانُ التَّوْرِيُّ وَمَاتَ الْوَرَعُ، وَمَاتَ الشَّافِعِيُّ وَمَاتَتِ الشُّنَنُ، وَيَمُوتُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَتَظْهَرُ الْبِدْعُ" وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ قُتَيْبَةُ: "إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ قَامَ فِي الْأُمَّةِ مَقَامَ النَّبِيِّ" قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: "يَعْنِي فِي صَبْرِهِ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنَ الْأَذَى فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".

وَقَالَ أَبُو عَمَرَ ابْنُ النَّحَّاسِ وَذَكَرَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ يَوْمًا فَقَالَ:

"رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي الدِّينِ مَا كَانَ أَبْصَرَهُ، وَعَنِ الدُّنْيَا مَا كَانَ أَضْبَرَهُ، وَفِي الرُّهْدِ مَا كَانَ أَخْبَرَهُ، وَبِالصَّالِحِينَ مَا كَانَ أَلْحَقَهُ، وَبِالْمَاضِينَ مَا كَانَ أَشْبَهَهُ، عَرَضَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَبَاهَا، وَالْبِدْعُ فَتَقَاهَا".

وَقَالَ الْمَيْمُونِيُّ: "قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ بَعْدَمَا امْتَحَنَ أَحْمَدُ، وَقَبِلَ أَنْ يُمْتَحَنَ: يَا مَيْمُونِيُّ، مَا قَامَ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَامَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. فَعَجِبْتُ مِنْ هَذَا عَجَبًا شَدِيدًا، وَذَهَبْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ، فَحَكَيْتُ لَهُ مَقَالََةَ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، فَقَالَ: صَدَقَ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ وَجَدَ يَوْمَ الرِّدَّةِ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، وَإِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْصَارٌ وَلَا أَعْوَانٌ". وَقَالَ هَلَالُ بْنُ الْعَلَاءِ الرَّقِّيُّ: "مَنْ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَرْبَعَةٍ: بِالشَّافِعِيِّ، فَهَمَّ الْأَحَادِيثَ وَفَسَّرَهَا، وَبَيَّنَّ الْمُجْمَلَ مِنَ الْمُفَسَّرِ، وَالْحَاصِّ مِنَ الْعَامِّ،

وَالنَّاسِخَ مِنَ الْمَنسُوحِ ، وَبِأَبِي عُبَيْدٍ عَرَفَ الْعَرِيبَ
وَفَسَّرَهُ ، وَبِخَيْبِ بْنِ مَعِينٍ نَفَى الْكُذِبَ عَنِ الْأَحَادِيثِ ،
وَبِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ثَبَّتَ فِي الْمِحْنَةِ ، لَوْلَا هَؤُلَاءِ
الْأَرْبَعَةُ لَهَلَكَ النَّاسُ “

انتهى من “البداية والنهاية” (14/ 407-409) .

وفوق ذلك كله ، وأهم من ذلك

كله ، بالنسبة لك أنت خاصة : أن تعلمي ، يا أمة الله ، أن على العبد أن يحسن الظن
بربه ، والتوكل عليه ، وينظر في حاله مع ربه ، وما يرجوه عنده من الأجر والمثوبة ،
والكفارة ، ثم لا عليه بحال فلان أو فلان ، صغير أو كبير ؛ فإن خفايا الأحوال ، وما
في قلوب العباد ، لا يعلمه إلا رب العالمين .

فمن يدري ؛ رب صغير القدر ، ضعيف الحال ، مسكين ، منكسر بين يدي أرحم الراحمين : له
من الحال عند رب العالمين ، ما يغطه عليه الأئمة العالمون !!
ألم تعلمي ، يا أمة الله : (أَنْ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْشُوا بِأَنْبِيَاءَ ،
وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغْطِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ
، وَقُرْبِهِمْ أَوْ قُرْبَتِهِمْ - شَكَّ ابْنُ صَاعِدٍ - مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
عَزَّ وَجَلَّ) ؟!

وإننا لنرجو من الله : أن يرزقك البصيرة في دينه ، وحسن الظن به تبارك وتعالى ،
وحسن الرجاء فيه ، والتعلق برحمته وفضله ومنه .

وإننا لنرجو لك يا أمة الله ، بما أنت فيه من الصبر والرضا والاحتساب ، أن تكوني
بمقام جليل ، ومحل كريم عند أرحم الراحمين ، ونرجو الله أن يعظم لك الأجر ، ويحط
عنك الوزر ، ويرفع عنك البلاء ، وقد قال سبحانه : (إِنَّمَا يُؤَفِّقُ
الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) الزمر/ 10 ، قال الأوزاعي : ” ليس يوزن
لهم ولا يكال ، إنما يغرف لهم غرفا ” انتهى من “تفسير ابن كثير” (7/ 89) .
فهذا بلاء من يصبر عليه يوف أجره يوم القيامة .

وتذكري ، يا أمة الله ، يوم

التغابن ، يوم يتمنى أهل العافية ، لو كان وقع عليهم من البلاء ما وقع ، ثم كفرت
عنهم خطاياهم ، ورفعت لهم درجاتهم :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -
صلى الله عليه وسلم -: (يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حِينَ

يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْصَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ ” . رواه الترمذي (2402) وحسنه الألباني .

واجعلي أسوتك بأهل الصبر على
البلاء ، والرضا بالقضاء ، وحسن الظن بالله ، أرحم الراحمين :
كَانَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَشَقِيَ بَطْنَهُ ،
فَبَقِيَ مُلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ مَدَّةً طَوِيلَةً ، [كانت ثلاثين سنة] ، لَا
يَقُومُ وَلَا يَفْعُدُ . وَقَدْ نُقِبَ لَهُ فِي سَرِيرِهِ مَوْضِعٌ لِحَاجَتِهِ
!!

فَدَخَلَ عَلَيْهِ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّخِيرُ ، فَجَعَلَ يَبْكِي
لِمَا رَأَى مِنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ: لِمَ تَبْكِي؟ ، فَقَالَ:
لَأَنِّي أَرَاكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الْفَظِيحَةِ ، فَقَالَ: لَا تَبْكُ ،
فَإِنَّ أَحَبَّهُ إِلَيَّ أَحَبَّهُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ: أَخْبِرْكَ بِشَيْءٍ ،
لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهِ ، وَاکْتُمَ عَلَيَّ حَتَّى أَمُوتَ ، إِنَّ
الْمَلَائِكَةَ تَزُورُنِي فَأَنْسُ بِهَا ، وَتُسَلِّمُ عَلَيَّ فَاسْمَعُ
تَسْلِيمَهَا .

وَلَمَّا قَدِمَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى مَكَّةَ -
وَقَدْ كَفَّ بَصْرَهُ - جَعَلَ النَّاسَ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ لِيَدْعُو لَهُمْ ،
فَجَعَلَ يَدْعُو لَهُمْ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ: فَأَتَيْتُهُ
وَأَنَا غُلَامٌ ، فَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِ ، فَعَرَفَنِي ، فَقُلْتُ: يَا عَمُّ ،
أَنْتَ تَدْعُو لِلنَّاسِ فَيُشْفَوْنَ ، فَلَوْ دَعَوْتَ لِنَفْسِكَ لَرَدَّ
اللَّهُ عَلَيْكَ بَصْرَكَ ، فَتَبَسَّمَ . ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ، فَضَاءَ
اللَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَصْرِي .
“مدارج السالكين” (2/317) .

لما وَقَعَ الطَّاعُونَ
بِالسَّامِ، فَخَطَبَ النَّاسَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَقَالَ:
هَذَا الطَّاعُونَ رِجْزٌ، فَفَرُّوا مِنْهُ فِي الْأُودِيَةِ وَالشَّعَابِ .
فَبَلَغَ ذَلِكَ شَرْحِبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ ، فَغَضِبَ ، وَجَاءَ يَجُرُّ ثَوْبَهُ،
وَنَعْلَاهُ فِي يَدِهِ ، فَقَالَ:
صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَكِنَّهُ رَحِمَهُ

رَبِّكُمْ ، وَدَعَوَةٌ نَبِيِّكُمْ ، وَوَفَاءُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ .
فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَصِيبَ آلِ مُعَاذِ
الْأَوْفَرِ .

فَمَاتَتْ ابْنَتَاهُ ، فَدَفَنَتْهُمَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ، وَطَعِنَ ابْنُهُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ - يَعْني لِابْنِهِ لَمَّا سَأَلَهُ كَيْفَ
تَجِدُكَ؟ - قَالَ : (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تُكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) آلُ
عِمْرَانَ / 60 .

قَالَ : (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) الصَّافَّاتُ / 102 .
قَالَ : وَطَعِنَ مُعَاذٌ فِي كَفِّهِ ، فَجَعَلَ يُقَلِّبُهَا ، وَيَقُولُ :
هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ .
فَإِذَا سُرِّي عَنْهُ ، قَالَ : رَبِّ ! عُمَّ عَمَّكَ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي
أُحِبُّكَ " .

“سير أعلام النبلاء” (1/458) .

وينظر للفائدة والاستزادة

جواب السؤال رقم : (35914) ، (112905)

، (135711) .

يسر الله لك أمرك ، وفرج

كربك ، وكشف همك وغمك ، وأبدلك مكانه فرحا وسرورا ، وغبطة وحبورا ، وكتب لك الأجر
مضاعفا، ورضي عنك ، وأرضاك .

والله تعالى أعلم .